بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ المجلس (٠١٥)

"الباب الثالث (الحروب القرطاجنية - أ - حروب صقلية (٥٣٦ - ٣٠٦) ب - الحروب البونيقية - ج - الحرب البونيقية الاولى (٢٦٤ - ٢٤١))"[١].

[٩ - الحروب القرطاجنية][٢]

جاورت قرطاجنة البربر وأحسنت جوارهم بما كانت تنقل إلى وطنهم من حضارات الأمم[٣]. وما كانت تنشره بينهم من جهود أبنائها التجارية والفلاحية والصناعية وغيرها. وكان في استطاعتها لأن تكون من شمال أفريقية دولة عظيمة ثابتة الأركان بسلاحي الترغيب والترهيب[٤]. كما فعل من بعدها

---

[١] إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فنواصل في قراءة هذا الكتاب الذي هو "**تاريخ الجزائر**" وانتهينا إلى الباب الرابع، وهو باب في ذكر الفينيقيين، أخذنا منه بعض المباحث، وانتهينا إلى قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ **(العمل القرطاجني في العمران والحضارة)** وهذا أخذناه.

[٢] وقلنا إن هذه الدولة الفينيقية كانت أكثر أهتماماتها بالتجارة والإبحار، وإنما اتخذت الجند للدفاع عن تجارتها وأمورها من هذا الباب، ولم تكن ممن تستعدي على الناس، أو تستعبدهم.

[٣] يعني هذا البلد مما استفاده استفاد من حضارة قرطاجنة، الحضارة فيه قديمة، وليست جديدة، واستفاده من الفينيقيين.

[٤] كان من قدرتها أن يوجد في شمال إفريقية دول، وإن قلنا **(تكوّن)** نقول دولا.

الرومان[١]. وكانت هي أقوى منهم وأقرب. ولكن الجنس السامي- وخصوصا الفينيقيين أسمى من أن يكون سفاكا للدماء غدارا بالوعود[٢].

حاولت قرطاجنة أن تتوسع في وطن البربر. ولكن من غير إراقة دماء غزيرة. فتوسعت حيث لم تجد معارضة حربية قوية[٣]، واكتفت بربط الصلات حيث وجدت صلابة. وقد رأت من صلابة نوميديا[٤] أنها لا تخضع إلا بعد أهوال وحروب طوال، فلم تتعنت في فتحها نعنت الرومان من بعد. واكتفت باستجلاب مودة أهلها كي تستعين بهم عند الاقتضاء، فنظمت من فرسانهم جيشا كان له الأثر المحمود في حروبها[٥].

وليس لقرطاجنة حروب مذكورة مع البربر إلا ما كان من ثورة الجند والانتصار لأعدائها الرومان[٦].

والمذكور من حروب قرطاجنة هي حروبها مع اليونان بصقلية[٧]، وحروبها من بعد مع الرومان[٨].

---

[١] وهي دولة قوية تستعبد وتسعدي.

[٢] خلاف ما عليه الأجناس الأخرى، الجنس السامي هذا مرتكزة فيه هذه الأوصاف، وسبق معنا ما كان عليه الفينيقيون، يعني أصحاب تجارة وحضارة ونقل للبضائع من بلد لآخر، وحيثما نزلوا صنعوا وأحدثوا مرسى لتنزل فيه السفن، وليكون موضعا لتبادل التجارات، لم تكن تعتدي على دول مجاورة لها، ولم تكن تستعبد من تحتها.

[٣] بدأ ملكها يتسع لكن حيث لا تجد معارضة حربية قوية، كالماء إذا أرقت شيئا يسيرا وواجد حاجزا يتوقف، وليس كالطوفان يأخذ كل شيء، هذا تقريب، هي كانت تريد أن توسع ملكها بهذه الطريقة.

[٤] الجهة الشرقية.

[٥] فحيثما لم تجد مقاومة اتسعت، وحيثما وجدت مقاومة حسنت من علاقتها مع هؤلاء الجيران، ومن جهة نوميديا الشرقية وجدت فيهم قوة وصلابة، فحسّنت العلاقة معهم وكونت فيهم جندا قويا، إذا احتاجت إليهم طلبت منهم الإعانة.

[٦] يعني لا تعرف حروب فيما بينهما إلا ماكان من ثورة الجند والانتصار لأعدائها الرومان، يعني شيء يسير.

[٧] الجزيرة.

[٨] لأن الرومان أراد أن يعتدي أيضا، ولو تواجد في هذا البلد، وسيأتي ذكره.

ولم يكن البربر بعداء عن هذه الحروب خصوصا النوميديين[1].

بل كانوا يخوضون لججها[2] لفائدة قرطاجنة، وقد ينقسمون إلى مناصر لها ونصير لأعدائها[3].

ونحن نقص خبر هذه الحروب بإيجاز لأنها لم يقع منها بالوطن الجزائري إلا القليل[4]، فعلاقتها بتاريخ الجزائر من هذه الجهة من حيث وجود اليد النوميدية فيها ومن حيث إن عاقبتها مجيء الرومان مكان قرطاجنة واستيلاؤهم على الجزائر[5].

نقتصر في هذه الفصول على أهم حوادث تلك الحروب[6]، وفي الباب التالي- إن شاء الله- نبسط ما كان منها بالوطن الجزائري[7].

تعرف حروب قرطاجنة مع اليونان بحروب صقلية، وحروبها مع الرومان بالحروب البونيقية[8].

---

[1] يعني الجهة الشرقية.

[2] لجة الحرب، واللجج يعني أمواج البحر وارتفاعها، فالمقصود يخوضون لججها أي قواها وغمارها، وقوتها، وما فيها من مخاطر.

[3] هناك أحيانا من يقف مع الفينيقيين من البربر، ومنهم من ينصر عليهم وليس لهم.

[4] كانت خارج البلد.

[5] ما فائدة ذكر هذه الحروب؟ يقول إن وجه ذكرها أن لها علاقة بتاريخ الجزائر من حيث أن هذه الحروب شارك فيها النوميديون، يعني من الجهة الشرقية، وكذلك كان لهذه الحروب أثر في تدخل الرومان، واستيلائهم على الجزائر عوض قرطاجنة.

[6] وهذا هو التاريخ الذي ذكرناه سابقا في بداية الدروس ذكرنا لكم تعاريف لمعنى التاريخ، وعبارات العلماء تختلف، ومن ذلك قول المقريزي في التاريخ أنه الإخبار عما حدث في العالم في الزمن الماضي، والسخاوي قال التاريخ التعريف بالوقت وضبط الأحوال من ولادة ووفاة وصحة ورحلة ونحو ذلك، وهو فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيف، بل عما كان في العالم، والموضوع هو الإنسان وزمنه وقال ابن خلدون فن التاريخ من الفنون التي تحتاج إليها الأمم وينقل فيها أخبار الأمم والأجيال السابقة. فهو ظاهرة لا تزيد على أخبار الدول والأيام السوابق من القرون الأول، فتنمى فيها الأقوال ويذكر الشؤون المختلفة للدول السابقة، وهذا ما يذكره المؤلف هاهنا من هذا القبيل.

[7] يعني الباب الخامس باب "حال البربر في قرطاجنة، وعلاقة البربر بهم، فهنا سيذكر ما هو أوسع.

[8] حروبها مع اليونان تسمى بحروب صقلية، وحروبها مع الرومان تسمى بحروب البونيقية.

أ - حروب صقلية (٥٣٦ - ٣٠٦) ق. م

وقعت هذه الحروب بين اليونان وقرطاجنة، ودامت سنين كثيرة تتخللها هدنات قصيرة الأجل.

١ - في سنة (٥٣٦) وضعت قرطاجنة قدمها بصقلية بقصد فتحها. وأرسلت إليها جنودا كثيرة بقيادة عملقرض بن ماغون، فانهزم أولئك الجنود انهزاما فادحا، وذلك حوالي سنة (٤٨٠). ولكن قرطاجنة لم تفشل من هذا الانهزام، ووالت حروبها، وفي آخر القرن الخامس فتحت نحو ثلث صقلية بقيادتي حنبل وحملقون من أسرة حنون، وختمت المعارك الأولى بعقد هدنة بين قرطاجنة ودونيس أمير سرقوسة وذلك سنة (٤٠٤).

٢ - في سنة (٣٩٩) هجم دونيس[١] على بعض مستعمرات قرطاجنة بصقلية، فأرسلت إليه جيشا بحريا بقيادة حملقون، فبلغ الجيش سرقوسة، وحاصرها بحرا، وأغرق سفنها، وذلك عام (٣٩٦) وفي العام التالي عاد حملقون إلى صقلية بجنود كثيرة. واستولى على أكثر جزرها. وانتهى إلى سرقوسة وحاصرها وأصبح

[١] الذي وقعت معه الهدنة من قبل.

النصر منه على قاب قوسين، ولكن لم يساعده القدر[1]، فأصاب المرض جنوده[1]، ووجد دونيس الفرصة متأتية. فانقض على جنود حملقوق، وهزمهم برا وبحرا، وانتهى الدور الثاني لهذه الحروب بعد اتفاق بين

---

[1] هذه العبارة كنت أشرت إليها من قبل، أفعال الله ﷻ تضاف إليه، فلا يقال "**شاء القدر كذا**" وهذا من الأخطاء المسموعة والمقروءة، في الجرائد وبعض الكتب، والرسائل والمجلات، وفي بعض المسموعات كالإذاعات ووسائل الاتصال وغيرها، يقول "**شاء القدر ... ولكن كاد القدر ... ولكن فعل القدر** ..الخ" ومنه قول ذاك الشاعر:

إذا الشعب يوما أراد الحياة * فلا بد أن يستجيب القدر**

في هذا البيت لك أفهام كثيرة، فهل هذا المعنى سليم؟ أو قبيح؟ يحتمل! لكن قد تحدده باعتبار قائله، ومعرفة اتجاهه وعقيدته، إذا عرفت ذلك تعرف ما المقصود، والبيت في الحقيقة عليه مؤاخذات، فلا يقال "شاء القدر" و"أراد القدر" و"فعل القدر" لأن القدر فعلٌ من أفعال الله ﷻ {**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**}القمر٤٩، وقال ﷺ (**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**) التكاسل والفطنة [رواه مسلم 2655]، حتى عجزك عن شسع نعلك أن تربطه وغير ذلك، كل شي بقدر، فالقدر من أفعال الله، ولهذا الإيمان بالقضاء والقدر هذا له جانب يتعلق بتوحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالى في أفعاله، فيمكن كي تكون العبارة سليمة "**ولكن كان مما قضاه الله وقدّره**" أو "**مما سبق في قدر الله وقضائه**" أو "**مما سبق في علم الله**"، أو "**ولكن كان قدر الله الذي كتبه**".

الطالب: وعبارة "**لم يسعفه الحظ**"؟

الشيخ: العبارة هذه عندي ليست سليمة، لا يوجد حظ كل شيء بقدر، الحظ يسمونه "**الزهَر**" يقولون "**ما عندوش الزهر**" وهذه عبارة غير صحيحة، خطأ، كل شيء محكم، ومتقن، ولا يزال الناس في دنياهم يكتشفون.

أنتم الآن تمعون بالمحميات الحيوانية، هؤلاء الذين لهم جهود لإبقاء المحميات هذه غالبهم من أصحاب التخصصات البيولوجية والجيولوجية وعلوم الأحياء، رأوا أن من أسباب استقرار دنيا الناس وجود هذه الأشياء، هذه الأشياء التي تراها أنت مضرة، هذا يلتهم هذا .. قانون الغاب، فهذا فيه أشياء نافعة، فيه بعض الأشياء بعد أن تتحلل، وتستحيل، وتصير مستحثات وغيرها .. فيها أثر في البيئة يعود على الناس بالنفع، وزوالها مما يترتب عليه الضرر، والأخبار في هذا كثيرة، ولا يحضرني المكان الذي فيه كثر اعتداء حيوان صغير مفترس على الأرانب، فأهل ذاك البلد قاموا بحملة ضد ذلك الحيوان المفترس، فأزالوه نهائيا، فاستعمرتهم الأرانب، وكثروا أكثر من البشر، بحكم كثرة توالدهم، صار عدد الأرانب في تلك البلدة أكثر من الناس، فتضرر الناس فصاروا في مشكلة كبيرة كيف يصنعون بهذه الأرانب؟ قتلوا عددا كبيرا، وصاروا يفعلون أمورا تعمدا لقتلهم، أحضروا ذلك الحيوان الذي كان يوازن! الآن صار لابد من أن تأتي به وتزاوجه مع أنثاه وتجعله في محمية كي لا يفرّ ولا ينقرض من أجل تحقيق السلسلة الغذائية، من الذي قضاها وقدّرها؟ الله ﷻ.

المتحاربين يقضي بخروج قرطاجنة من جميع جزر صقلية، اضطرت قرطاجنة إلى هذا الاتفاق لما كان بوطنها من ثورات البربر التي صيرت قرطاجنة في أضيق حال[٢].

٣ - انجلت عن قرطاجنة أزمة الثورة، فعادت إلى حرب صقلية، ووجهت إليها جيشا بقيادة ماغون. فطالت الحرب بين الفريقين، وتوفي ماغون. فخلفه ابنه ماغون. ثم توفي دونيس سنة (٣٦٣) وخلفه ابنه وسميه أيضا. وأخيرا ظن ماغون الثاني أنه مغلوب ففر إلى قرطاجنة وقتل نفسه اتقاء من تعذيب دولته له[٣]، ولا أعجب من حال من يفر من الموت الشريف وهو مظنون ويقتل نفسه بعد ما جر لدولته عارا لانهزام[٤]، وبعد ماغون في سنة (٣٤٠) وجهت قرطاجنة جنودا أخرى لصقلية بقيادتي حنبعل

---

[١] يعني قاربوا أن يعيدوا أرضهم لكن قدر الله أن يصيب المرض الجنود، إذن صاحب الحرم الذي يريد أن يقدم لابد أن يحرر جنوده، لأن بقاءه بجنوده، وتقدمه بجنوده، وإذا كان لا يبالي بالجنود يمرضون له فيخسر، هذا من الفوائد التي تدرس في التاريخ، لا تقدم فقط! بل لا بد أن تعلم الذي خلفك ومن معك.
إذن لا بد على الذي يريد أن يحقق شيئا ويسعى، لابد أن يحافظ على الأسباب والوسائل التي بها يتقدم قُدُما.

[٢] إذن لا تضيع المكتسبات عندك مكتسب فلا تضيعه، إذا أردت أن تسير لابد أن تضمن وأن تركز على المكتسب الذي حصلته ثم سر، أما أن تسير وتضيع المكتسب فهذا ليس من العقل في شيء.
فهنا قرطاجنة رأت أن أرضها بالبربر وقعت فيها ثورات، وصار فيها بلابل وقلاقل وفتن، وصقلية بالنسبة إليها شيء زائد، فترجع إلى الأصل لتحافظ عليه، ثم تسترجع قواها، اضطرت إلى أن تحدث معهم الاتفاق، ولهذا أحيانا النجاح في الاستقرار في نفس المكان أو الرجوع إلى الوراء قليلا، ويسمى هذا فلاحا، مثل غزوة مؤتة التي أرسل فيها ﷺ وأمّر الأمراء الثلاثة زيد بن الحارثة، وعبد الله بن رواحة، وجعفر بن أبي طالب ﭬ فمات هؤلاء الأمراء الثلاثة واحدا تلو الآخر، لأنهم خرجوا إلى مقاتلة الروم قوة وعتاد وعدد وعدة وتجربة وحنكة في الحروب، فأمرهم ليس سهلا، فانتهى عدد الأمراء الذين أمرهم النبي ﷺ لم يبق إلا الجند، وكان فيهم خالد بن الوليد وهو محنّك فقال ﷺ (**فأخذ الراية خالد من غير ائتمار**) دون أن يؤمر أحدا، فأنجى المسلمين، بمعنى أنه دفع كيد الرومان، الجيش كالطائر رأس -المقدمة- ومؤخرة وجناحان والقلب، خالد بن الوليد بحنكته أخلط الأمور، وغير فيها، بحيث أنه يظهر جيش أقوى مما كان، وباغتهم ثم مال إلى الجبال حيث احتمى بها من الرومان، فكانت النتيجة أنه حفظ ذاك الجند الذي بقي من أن يأتي عليهم الرومان عن بكرة أبيهم، فيعد ذلك نجاحا وفوزا وانتصارا.

[٣] يعني أرسلته دولته فإذا خسر وأخفق يقتل.
[٤] هذه ملحوظة جميلة جدا، يعني أن الإنسان يهرب من موت إن وقع فهو موت شريف، يعني شيء مظنون ليس أكيدا، ثم يذهب إلى موت محقق يقتل نفسه ولا شرف فيه. هذا نقص في العقل.

وهملكار، فانهزموا أيضا على كثرتهم، وتم الدور الثالث بعد اتفاق بين المتحاربين لفائدة صقلية، وذلك سنة (٣٣٨).

٤ - كان رجل يدعى أغاثوقليس من بيت وضيع، ولكنه قوي الإرادة طموح إلى المعالي. فانتهز فرصة وجود هملكار بصقلية. واستعان به على أن يكون ملكا بسرقوسة. فاعانه بعد ما حلف له أيمانا على مسالمته لقرطاجنة، وانتصب ملكا بسرقوسة سنة (٣١٩).

وبعد وفاة هملكار رأى أغاثوكليس أنه في حل من أيمانه[١]، فهجم على ما تحت يد قرطاجنة بصقلية. فوجهت اليه جيشا جرارا يقوده هملكار بن جسقون. وانتصرت عليه انتصارا غزيرا. وتقدم الجيش الى سرقوسة فحاصرها. ورأى أغاثوقليس موقفه حرجا، فتخلص بنقل الحرب إلى أفريقية، بعد ما حرض السرقوسيين على الثبات ودبر مكيدة أبعد بها سفن قرطاجنة عن مرسى سرقوسة وركب اسطوله وتوجه الى أفريقية. شعر به الاسطول القرطاجني فتبعه[٢]، ولكن لم يدركه، قضى أغاثوقليس في سيره ستة ايام. ونزل بأفريقية. واحرق أسطوله لئلا يطمع جيشه في العودة الى صقلية، وذلك سنة (٣١٠) وهكذا سيفعل طارق بن زياد بعد عشرة قرون[٣]، بقي هملكار محاصرا لسرقوسة وفي سنة (٣٠٩) ألزمه السرقوسيون برفع الحصار عن مدينتهم. وفي العام التالي حاول الاستيلاء على سرقوسة، فلم ينجح. وأسره الاغريقيون، ومات معذبا، أما أغاثوقليس فانه نجح في إفريقية وخضعت له مدن كثيرة، وبلغ أبواب قرطاجنة وشدد عليها الحصار[٤].

---

[١] يعني حلف لهذا الرجل، وقد مات الرجل فما حلفه له يزول.

[٢] استفيدوا من التاريخ، هؤلاء الناس الذين هم أصحاب المكر ويبحثون عن المناصب، يبحثون عن أشياء يصلون إليها، في المضائق ينقلون الفتنة من بلدهم إلى بلد آخر والحرب عند الدار، أغاثوقليس هذا لما أعطى الأيمان إلى هذا الأمير الذي أرسل من قرطاجنة إلى صقلية الذي هو هملكار، فقال: أحارب وآتي لكم بالنصر وأعطاه أيمانا، فلما مات هملكار قال: أنا حلفت لهذا الرجل فمات استولى على ماكان تابعا لقرطاجنة في صقلية، أرسل له جيشا جرارا فهزم، فكيف تخلص؟ نقل الحرب من هناك إلى إفريقية.

[٣] قصة حرق طارق بن زياد للسفن، عندما نصل إليها إن أطال الله العمر، ومضيتم في إتمام قراءة الكتاب نتكلم عليها إن شاء الله.

[٤] بعد أن كان من بيت وضيع، والحاجة تدفع الناس للطمع إلى ما هو أعلى.

ولما رأى أغاثوقليس انه تمكنت قدمه بأفريقية ارتحل عنها سنة (٣٠٦) الى صقلية[1]. وترك ولده بافريقية، فتنفس القرطاجنيون وصاروا يحاصرون الإغريق في المدن التي احتلوها، فعاد أغاثوقليس، ولكن النصر لا يكون دائما حليف الفاتح، فذاق مرارة سوء الحظ في هذا العود، وعاد الى صقلية يتعثر في أذيال الخيبة، ومكن سلطته بسرقوسة، وتوفى سنة (٢٨٩).

---

[1] هذا كله لا تجده عند المسلمين، النبي ﷺ إذا أرسل جيشه يدعوا إلى الإسلام، فإذا أسلم أهل البلد وأميرهم ثُبّت عليه، بل أمير تلك السرية يتزوج من أمير تلك البلد حتى تقوى الأواصر، لأن دعوتنا هي دعوة إلى الدين والإيمان، فهذا الحرب الذي تفعل ليست كحرب أمريكا وروسيا وفرنسا والألمان وبريطانيا، وتبعتهم أيضا اليابان والصين وكوريا الجنوبية ..الخ هي حرب على الممتلكات، حرب على المصالح، والحاجات، حرب على إثبات الوجود للنفع الذاتي وليس النفع العام، هذا ليس عند المسلمين.

وهؤلاء مع ما عندهم من الكفر يبيدون الكثير من الناس، من أجل تحقيق مصالحهم، الآن تجد الشبهات منتشرة حول الإسلام والنبي ﷺ ويأتون بأحاديث ليبينوا لنا أن هذا الدين دموي، يقول الله تعالى {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ}التوبة٥، وقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ}التوبة١٢٣، وقال ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله..) وقال ﷺ (جئتكم بالذبح).. هي آيات وأحاديث صحيحة، لكن تفسر على أي معنى ومقتضى!؟

نأتي إلى عملية حسابية كم عاش النبي ﷺ وأقام دوله؟ ثلاث وعشرون سنة من البعثة، عشر سنوات ما خاض فيها حروبا، عدد غزواته كما جاء في الحديث الصحيح عند مسلم من حديث زيد بن عطاء سبعا وعشرين غزوة وفيه سرايا أخرى على اختلاف يسير، لم يقتل النبي ﷺ إلا واحدا بيده.

نأتي الآن إلى حروب المعاصرين بوش حكم أمريكا خمس سنوات ثم ابنه، أوباما حكم خمس سنوات، وهذا الأصهب الحالي له سنتان، قتلوا بالملايين، وكل حكمهم ورئاستهم دام نحو خمس عشرة سنة قتلوا أكثر من ملونين، لا أملك الرقم الحسابي بالضبط، لكن قتلوا أكثر من ذلك، انظر أيضا إلى الحروب العالمية الأولى والثانية، هتلر، موسيليني، ستالين، قتلوا بالملايين.

الإسلام قال إذا جئت لتقتله فقال "لا إله إلا الله" توقف، قال ﷺ لأسامة (قتلته بعد أن قال لا اله إلا الله) قال يا رسول الله قالها خوفا، فقال ﷺ (هلا شققت على قلبه فرأيت هل قالها خوفا)، هذه رحمة الدين الإسلامي.

هي الآن شبهة قد تطرح على أي أحد يقال له دينكم دموي، نقول له: كم دامت دعوة النبي ﷺ وكم من حرب خاضها، وكم من قتيل قتل، وما هي الدعوة؟ وما الغرض من الحرب؟ الآن أغراض الحروب كلها حاجات شخصية، أمريكا تريد السيطرة العالمية، والآخر البقاء الذاتي، والآخر المصالح الخاصة ..الخ هذا ما عندنا في دين الإسلام، أما عند المسلمين!! فحدّث ولا حرج!

وبارتحال أغاثوقايس عن أفريقية للمرة الأولى انتهت حروب صقلية[1].

ب - الحروب البونيقية.

قرطاجنة دولة بحرية لها أسطول عظيم وأبناؤها قليلو الغناء في الحرب[2]، فكانت تعتمد في حروبها على الأجانب.

وروما دولة برية لا أسطول لها ولكن لها من أبنائها جيش قوي الإيمان بمحبة الوطن[3]. ولذلك كان النجاح في الحروب البونيقية للثانية على الأولى[4].

ابتدأ النزاع بين هاتين الدولتين على البحر الأبيض المتوسط[5] وفي سنة (٣٤٨) عقدتا اتفاقا يمنع روما من التجارة مع أفريقية، ويحدد لها في البحر حدودا لا تتجاوزها[6].

---

[1] فهذه الحروب دامت نحو مائتين وثلاثين سنة، هذه الحروب مع اليونان.

[2] لا مكنة ولا حنكة.

[3] هذه رومة معروفة، إذا تقرأ في التاريخ وتقرأ لهذا الجنس، تجده قوي الحب لوطنه، ومُفدّى لوطنه ويقاتل بكل بسالة.

[4] لأن لرومة حنكة وتجربة في الحروب.

[5] الحروب على الدول والتنافس يبدأ على المصالح، الحرب على البحر الأبيض المتوسط مهم جدا، لأنه رابطة وصل بين قارات، فإذا سيطر عليه بلد ما فلا أحد يجاوزه إلا بإذن منه، فيستطيع أن يفرض عليه غرامات كثيرة جدا، وهذا كما سيأتينا إن شاء الله سبب ثوران فرنسا على الجزائر، ليس فرنسا فقط، فرنسا وأمريكا وغيرها من الدول، كانت لا تمر بالبحر الأبيض المتوسط إلا بعد أن تدفع ضريبة ليسمح لها، وإذا تعمدت عدم دفع الضريبة حوربت، وأحرقت وأغرقت سفنهم، فهذا بداية النزاع.

[6] إذن الأول أن لا تتاجري مع دول إفريقيا، كي يبقى سوق التجارة لقرطاجنة، لأنه إذا دخلت رومة في تجارتها سينقص سوق قرطاجنة، هذه سياسة، وهذا كله يحدث الآن، فالحرب العالمية الأولى والثانية من هنا! وإلا فدول الحلف الأطلسي أشفقوا على البلد الذي دخله هتلر؟!! أشفقوا على الشعب الذي قتل ومات؟؟ لا، هتلر في يومين احتل جهة كاملة، لكن مصالحهم هناك، فإذا أخذها قطعت مصالحهم، الإسلام بعيد عن هؤلاء، لا مقارنة بين المصالح التي يريدها المسلمون للعالم، وبين مصالحهم.

ولما توفي أغاثوقليس بقيت صقلية في فوضى دامت عشر سنين[1]، وطمعت قرطاجنة خلالها بإعادتها اليها. فاستدعى السرقوسيون الملك بيروس ليحفظهم منها[2]، فلبى طلبهم[3]، ووقعت بينه وبين قرطاجنة معارك لم ينجح فيها، فماد الى ايطاليا سنة (٢٧٦)[4].

إذا سئلنا سؤالا: ماذا تريدون أيها المسلمون؟ نقول: نريد أن تسلموا، تبقى فرنسا فرنسا، وأمريكا أمريكا، والصين للصين، وألمانيا لألمانيا، فقط أسلموا، كما قال ﷺ (أسلم تسلم يؤتك الله الأجر مرتين)[رواه البخاري ٧، ومسلم ١٧٧٣] لا نريد مصالحكم ولا حوائجكم، ولا غازكم ولا ذهبكم الأسود ولا الأصفر ولا الأبيض ولاشي، ولا نساءكم ولا مغانمكم، وإنما هي دعوة الإسلام، ولهذا قال ﷺ (فإن نزلت بساحتهم فادعهم إلى إحدى ثلاث أن يسلموا فإن هم أجابوك فدعهم) [صحيح الجامع١٥١١] بين لهم الدين، الأمر بالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وأحكام الدين، وكان ﷺ ينصح بأن يتزوج منهم لتقوية الأواصر، هذه السياسة الصحيحة التي كان عليها الأنبياء، كانت أنبياء بني إسرائيل تسوس أقوامها كلما مات نبي بعث الله نبيا يسوس قومه، فالسياسة جزء من الشريعة، ليست مستقلة وقسيمة منفصلة، إلا سياسة الخداع والمكر والكذب فهي شيء آخر.

أما الخدعة فتلك في الحرب فقط، مقيدة بالحرب، وكذلك لها ضوابط.

[1] ذهاب الرأس صعب جدان ذهاب الذي يلتف حوله الناس والذي يقوم ويكون مرجعا للناس وقائدا وإماما أو رئيسا أو سلطانا ومن يعد رأس البلد أو الدولة أو المنطقة، فواته وذهابه يجعل الناس في فوضى وفي شر الأمور، لهذا في الحرب إذا قتل أمير الجيش تقع الفوضى في الجيش، فالأمر ليس بالسهل، ولهذا قال ﷺ في خالد بن الوليد (أخذ الراية سيف من سيوف الله) [أخرجه أحمد (١٧٥٠)، والنسائي في ((السنن الكبرى))(8604)] خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وهذه الفوضى أمرها صعب لأن فيها تظهر قرون أصحاب الأغراض والحاجات، لما يكون الأمر في فوضى ويكون المكان الذي عليه المسؤول وصاحب المسؤولية إذا غاب تصير فوضى، إلا إذا كان أصحاب ذاك المكان، وتلك المصلحة أصحاب نفوس طيبة وأصحاب خير مريدين للخير، فيحافظون على المصالح، والممتلكات أما إذا كان كل واحد له أغراض، فيرى صاحب الأغراض أخذ وملك واغتصب أغراض، فتطمح نفسه، فيأخذ كما يأخذ وتعم وتنتشر الفوضى -عياذا بالله-

[2] إذا ضعفت البلد وذهب رأسها تكالبت عليها الأعداء، والعاقل لا يترك العدو يتكالب عليه، فأن يتآكل من داخله أفضل من أن يأتي العدو فيأخذه لقمة واحدة.

[3] عنده أغراض بلا شك.

[4] مثل ما هو الآن، وما تجربة إيران والعراق ببعيدة عنا، وما قضية أفغانستان وروسيا ببعيدة عنا، والمتتبع لأخبار هؤلاء يرى العجب، من كان يمول إيران لتضرب العراق؟ ومن كان يمول العراق لتضرب إيران، ومن كان يمول الأفغان لمحاربة الروس، بغض النظر عن اعتقادهم واقتناعهم بمعتقدات كالأفغان المسلمين، لهم أغراض، لكن إذا وصل إلى

وكانت رومة تخشى بيروس فعقدت مع قرطاجنة محالفة دفاعية تسنلزم إعانة احدى الدولتين للأخرى في أي حرب دخلت فيها، وغرضهما الاتحاد ضد بيروس[1]. وفي سنة (٢٧٢) توفي هذا الملك[2] فتنفست رومة، ونقصت لديها أهمية المحالفة[3].

رجعت صقلية إلى الفوضى بعد خروج بيروس منها. وكان بها جنود مرتزقة[4] بعضهم من عهد أغاثوقليس، وبعضهم خلفهم بها بيروس، فانقسموا أحزابا. وعين السرقوسيون منهم ييرو[5] رئيسا عليهم، فحارب قرطاجنة سبع سنوات، وكان أعظم الأحزاب مقيما بمسينا. ولقب هذا الحزب نفسه "جنود المريخ " وهو إله الحرب، وبلغ من عظمته أن خشيته اليونان وصقلية والرومان والقرطاجنيون.

غرض ما ينقلب عليه، ولكن المشكل أن المسلمين تمر عليهم التجارب لا يلتفتون إليها ولا يقومها، مع أن تقييم التجربة والاستفادة منها أمر مشروع، ومنهج دعوي نبوي، موسى ﷺ قال للنبي ﷺ لما رجع من مكالمة الرب ﷻ له، مر على موسى ﷺ فقال له (**ماذا فرض ربك**) قال (**فرض علي خمسين صلاة**) فقال موسى (**ارجع إلى ربك واسأله التخفيف فإني قد جربت من قبلك في بني إسرائيل وهم قوم أشداء أشد من قومك ولم يصبروا**) [نحوه في صحيح البخاري 3887] فرجع النبي ﷺ وأنقص الله ﷻ إلى أن صارت خمسا (**قال ارجع واسأله التخفيف**) قال (**إني استحييت من ربي**)، قال العلماء فيه إشارة إلى أن الإنسان يأخذ التجارب بعين الاعتبار، وهذا من فوائد دراسة التاريخ.

ومرة كانت عندي سفرة إلى المغرب فلقيت أحد مشايخنا الفضلاء قلت له (**تريد شيئا من المغرب**) قال لي (**هات لي كتاب الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى**) ثلاث مجلدات، قلت (**شيخنا ما حاجتك إلى الكتاب**) قال لي (**تاريخ البلد الذي أنت فيه لا تعرفه!! هو نفسه يتكرر أو تجارب مضت يستفاد منها**) وهو الحق كما قال هذا الفاضل، زاده الله علماء، وحفظه الله وأطال عمره في طاعته ﷻ.

[1] يعني عدو العدو صديق، وصديق العدو عدو، فرومة تخشى من بيروس، مع أن رومة خاضت الحروب مع قرطاجنة، فتآلفت مع قرطاجنة ضده لحفظ المصالح.

[2] يعني بيروس.

[3] الآن تقول رومة لا نحتاج إلى قرطاجنة، مثلما فعلت أمريكا مع العراق، حطمتم إيران، فعلّقوا الرجل في عيد الأضحى والمسلمون كلهم ينظرون، وقال الآخر سيأتون عليكم كلكم واحدا واحدا، وهو يقع للأسف الشديد.

[4] أصحاب المهمات القذرة يفعل ما تريده منه المهم مقابل مال، اليوم معك وغدا عليك.

[5] هذه الأسماء لا أدري إذا كان ضبطها هكذا، نخشى من الخطأ المطبعي.

وفي سنة (٢٦٨) ساءت حالة المريخيين، ورأوا لزوم خضوعهم لرومة أو لقرطاجنة، وافترقوا لذلك فرقتين وقدمت الطائفة المتشيعة لرومة مطلبها لمجلس الشيوخ[١]، فقبلوه واعتمدوه سببا للدخول في محاربة قرطاجنة التي لا ترضى بتسليم صقلية. فوقعت الحرب بين الدولتين. ودامت سنين كثيرة. وهي المعروفة بالحروب البونيقية.

ج - الحرب البونيقية الأولى (٢٦٤ - ٢٤١)

للرومان رغبة شديدة في امتلاك صقلية لقربها منهم، وللقرطاجنيين حق البقاء بها لنفس تلك العلة. ويزيدون بأنهم السابقون إلى استعمارها، وبأنهم مهروها دماء غزيرة، وبأنهم أمة بحرية[٢]، واستظهرت رومة بطلب بعض المريخيين لحمايتها والقول الفصل في قضية الاستعمار للقوة[٣]. فدخلت الدولتان محكمة الحرب لفض هذا المشكل ورأت رومة عجزها البحري، فسدت هذا الخلل قبل الشروع في الحرب. وشرعت في صناعة سفن على شكل سفن قرطاجنة، وتم لها في مدة شهرين صنع (١٣٠) سفينة.

ابتدأت الحرب على مسينا فدخلها الرومان، وكان الأمير ييرو أولا مع قرطاجنة ثم انضم للرومان سنة (٢٦٣). ثم دحرت رومة قرطاجنة في حرب جرجنتي حتى فر القائد القرطاجني وأسر بعض جيشه وبيعوا بيع العبيد وذلك سنة (٢٦٢).

وفي سنة (٢٥٦) وقعت معركة بحرية بين الأسطولين انجلت بانهزام الأسطول قرطاجني ودخل الرومان إثر ذلك أفريقية وحاصروا قرطاجنة، فاضطر القرطاجنيون إلى طلب الصلح، فاشترط الرومان عليهم شروطا رأوا الموت دونها، فشمروا عن ساعد الجد وأخرجوا الرومان من أفريقية[٤].

---

[١] التابع لرومة.

[٢] فهم أولى بها يعني.

[٣] يأخذها القوي.

[٤] يعني اضطروا إلى الصلح فلما قبل الرومان قالوا بشروط، لكن هذه الشروط كانت جد صعبة، فقالوا: نموت ولا نستسلهم لهذه الشروط، فقاتلوا وحاربوا حتى طردوا الرومان.

وفي سنة (٢٤٢ - أو- ٢٤١) خضع الجيش القرطاجني للجيش الروماني، وكان كل من المتحاربين قد سئم الحرب. ولكن الماليين القرطاجنيين كانوا أسبق إلى طلب الصلح حرصا منهم على الثروة التي يرون في استمرار الحرب ضررا لها[1]، انعقد الصلح بين المتحاربين على شروط لفائدة رومة وهي:

١ - رد الأسرى من غير فداء.

٢ - خروج قرطاجنة من صقلية.

٣ - التزامها مسالمة بيرو.

٤ - دفعها غرامة حربية عظمى قدرها بعض المؤرخين بعشرين مليونا فرنكا. وهي بعضها معجل وبعضها مؤجل بآجال تنتهي بعشرين سنة.

والقائد القرطاجني في هذه الحرب هو أملقار برقة، وهو قائد عظيم أدى لدولته خدمات جليلة، وكان رئيس حزب وطني غرضه أن تكون قرطاجنة دولة ديموقراطية[2] ذات جيش وطني يحميها من رومة وكان الماليون الذين همهم في ملء الخزائن لا في نثر الكنائن يرون في هذا القائد الحربي ضررا على ماليتهم فابعدوه إلى اسبانيا برسم فتحها في الظاهر، ففتحها وأسس بها دولة هو رئيسها، وسمى عاصمته قرطجنة الحديثة. وتوفي سنة (٢٢٨ - أو- ٢٢٠)[3].

---

[1] يعني لما صار الأمر يتعلق بالمال قالوا: لا، نحفظ أموالنا الخاصة ولا نخض هذه الحرب، فلا بد على الإنسان أن يقدم المصلح العامة لا الخاصة، وإذا كان معك أصحاب المصلحة الخاصة فسيتركونك في وسط الطريق.

[2] قال الشيخ معلقا في الحاشية "ديموقراطية مركبة من كلمتين: قراطية معناها حكومة وديمو معناها الناس. فمعنى هذا المركب حكومة الشعب" ونحن نرجع إلى القرآن الكريم، ونذهب للآية في سورة يوسف وننزعها!! {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ}يوسف٦٧، هكذا يريدون، الحكم لله ﷻ وليس للشعب فالله تعالى هو الحاكم {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ}المائدة٤٩ ومما أنزله الله ﷻ أنه فيه أشياء تخضه للعرف، قال ﷻ {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}الأعراف١٩٩، {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى}الطلاق٦ يعني إن لم يتراضوا على مقدار المال الذي ترضى به المرأة وهذا مرجعه للعرف، لكن الحكم لله ﷻ.

[3] هذه السطور الأخيرة لها فوائد عظيمة في الوقت المعاصر، أصحاب المال كان لا ينفعهم هذا الرجل، قالوا: لابد أن تبقى في هذه الدولة، ولا بد أن ترقى وتخوض الحروب، وتبقى قائمة ونحقق ما نريده، أصحاب الأموال يتضررون في مالهم

سيدوه، قالوا انت افتح لنا إسبانيا ينتظرونه كي يقتل لهذا قال (**برسم فتحها في الظاهر**) ولكن كان قائدا قويا وأسس فيها دولة قرطاجنة الجديدة.

نكتفي بهذا القدر والله أعلم.